مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 11 العدد 01 السنة 2010 ص ص 126-155

قسنطينة عشية الاحتلال الفرنسي 1837م
من خلال وثائق نادرة

د/ توفيق دحماني
جامعة الجزائر 2

مقدمة:

تقول القاعدة إن لا تاريخ بلا وثائق، وإذا وجدت المصادر وجد التاريخ، وإذا انعدمت انعدم، وعلى ضوء ذلك، فإن دور المحفوظات، تحتفظ بكم مهم من الوثائق الأرشيفية التي يمكن أن تأتي بالجديد، أو توضح المبهم، أو تأكد المعروف.

إن معظم وثائق الجزائر في الفترتين العثمانية والفرنسية لا تزال محفوظة في دور الأرشيف الفرنسية، وقد قمت منذ مدة ببعض الأبحاث هنالك، وعثرت على عدد مهم جدا من الوثائق المتنوعة، والمكتوبة بمختلف اللغات سواء العربية أو العثمانية وكذا بمختلف اللغات الأوربية وخاصة الفرنسية.

وهذه الوثائق على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية؛ ذلك أنها تلقي أضواء على صغائر الأمور، والتي يمكن أن توضح أحداثا مهمة، أو تجلي الرؤية عن اتجاه الأحداث التاريخية. كما ويمكنها أن تضعنا بأسلوبها في روح العصر. وباعتبار أن معظم ما نحن بصدد نشره، كُتب

كرسائل، تعطي وجهة نظر كاتبيها، لا كوثائق تأريخية، مما زيد في موثوقيتها ومصداقيتها في تأريخنا لتاريخنا قبيل الاحتلال الفرنسي وبُعيده. تلك الفترة التي شهدت أحداثا مأساوية، وعرفت تغيرات مصيرية، وتَحدَّد فيها مصير البلاد والعباد.

إن الوثائق التي نُقدم على نشرها، وتقديمها للقارئ الكريم، يمكن للباحث المتمعن أن يستقرئ منها الكثير في تحليله للوقائع، التي يريد إعادة التأريخ لها؛ في إطارها الزمكاني، وفي بعدها الوطني، وفي عمقها النقدي.

إعلان الجهاد من قبل أحمد باي، موجه إلى قبائل سطورة. [1]

----------***----------

تعريب نسخة من رسالة أحمد باي إلى القبائل القريبة من ستورا [سكيكدة]، حثا على الجهاد.

احتل الفرنسيون بونة لمدة خمس سنوات، حيث تحملناها. ثم عينوا عليها الباي، الكافر المدعو يوسف، [2] والذي أطلق على نفسه اسم المسلم؛ فكان طوال الوقت يأمر في جميع أنحاء هذه المدينة، ويرتكب الفظائع ويرعب الناس، بل كان غارقا في دماء إخواننا، ويقطع رؤوسهم؛ لقد جردهم من كل شيء لديهم، إثراء للفرنسيين بلا شك. ولأنهم تحملوا أفعاله المتعطشة للدماء، فإن عدو الله هذا، جاء العام الماضي إلى سطح المنصورة، ليهدم مدينتنا الجميلة وينهبها. وكما تعلمون، فقد أجبرته على الانسحاب.

وخلال الأيام الأخيرة الماضية، أراد الفرنسيون عقد اتفاق سلام معنا؛ فقلت في نفسي، لعل فيها خيرا للبلاد، ولما فيها من خير عميم، لكن شروط الاتفاقية، التي أرادوا فرضها علينا، كانت قاسية ومؤلمة جدًا، ومحزن جدا على المؤمنين الحقيقيين أن يقبلوا بها.

وكما ترون بأنفسكم، فقد طلبوا إنشاء حامية من ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل في القصبة، لبناء حصن في سطح المنصورة، وفي كدية عاتي.

إن الرسوم السنوية، التي كنت أدفعها لباشا الجزائر طبعا، فإن دفع السنوات السبع منذ احتلال الجزائر، وأخيرا تسليم خصم خمسمائة فتاة بناء على رغباتهن.

يا أبنائي إن وافقت على هذه الشروط، فسأغضب وأثور. أخبروني: ما علي إلا ركوب حصاني مع ابني وابنتي؛ واحد أمامي والآخر ورائي، واتجه إلى الصحراء؛ حيث سأدفن نفسي مع أطفالي. لكن على العكس من ذلك، فأنتم مسلمون صالحون، ولا تريدون تسليم أبنائكم إلى الكفار؛ تعالوا إليّ جميعا، ندافع عن بلادنا، وعن شريعة نبينا، أو دعونا نموت جميعاً.

9 Octobre 1837. 208. Sixième année.

ورقة اخبار الجزائر

MONITEUR ALGÉRIEN,

JOURNAL OFFICIEL DE LA COLONIE.

PARTIE OFFICIELLE.

PARTIE NON OFFICIELLE.

NOUVELLES DE LA RÉGENCE.

PROVINCE DE SUSE.

رسالة الجنرال "فالي"، إلى الحاج أحمد باي بتاريخ 18 رجب 1253هـ/ 18 أوت 1837م، [3]

الحمد لله وحده، ولا شريك له في ملكه، سبحانه جل شأنه.

موضع ختم دائري (سلطان الجزائر1253 الكونت دو دانرمون)

(*Danrémont*) ***موضع ختم مستطيل***

من سعادة كبير الجينيرالية (كذا)، الآمر المحال الفرنساوية (كذا)، ابني الحاج أحمد باي؛ فها إني نجاوبك (كذا) أيضا على كتابك الأخير لنا، حيث كنا نضارب البلد من كدية عاطي، الصلح عرض لك، والآن ها أن الله سبحانه وتعالى قد وضع تحت يدي كرسيك وقوتك، وحيث أن الله عز وجل، أمر أن المقتدر والمنصور، لازم يكون غفور ورحيم، فها إني نزيد نعرض لك الصلح أيضا، ولكن لابد تعلم أن هذه هي المرة الأخيرة، التي نعرض لك الصلح أيضا، فإذا كنت تحب ترجع كما كنت أولا، فابعث لي حالا حالا، رجلا كبيرا عاقلا حكيما، الذي توجد فيه أمانتك وكلمتك، لأجل نعرفه ما هي مقاصدي، وإذا ما قبلت بذلك بكل سرعة وعجلة، فلازم نعمل الذي قد تهيء، واستعد من غير أن نفتكر (كذا) فيك كليا. هذا ولا زايد والسلام. بتاريخ ١٨ شهر رجب الفرد عام١٢٥٣هـ (18 أكتوبر 1837م).

رُقِمَ يوم الثلاثة في الدرب بقسنطينة.

كتب عن إذن وأمر سعادة المذكور أعلاه.

ختم فيه: (سلطان الجزائر1253 الكونت دو دانرمون)

رسالة العقيد "دوفيفي" (*Devivier*) إلى قبائل الشرق الجزائري، ردا على إعلان أحمد باي الجهاد، بتاريخ يوم الجمعة 08 جمادى الأولى 1252هـ/ 21 أوت 1836م، [4]

----------***----------

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

من عبد الله سبحانه المسلم الكرونيل دو فيفي [(5)] ءاغة وكبير على جميع الاصبايحية.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه، يليه فالذي نعلمكم به أنني سمعت بالبراوات الذين جاو للعراش من عند الحاج أحمد باي قسنطينة، ونعرف واش فيهم كلهم مكتوبين كيف بعضهم بعضا الناس انتاع هاذ لعراش هما احبابي بعثولي اثنين من هاذ البراوات في يدي وفيهم غير الكذب، الحاج أحمد لم يقدر يقدم، خاف يخرج من قسنطينة، الى كان خرج لم يدخلها مرة أخرى، ويكون يخش في قلب البلاد قبل العسكر انتاع الفرانصيص الذي في عنابة، والذي يوصل في كل ساعة، حتى إلى المجاز الأحمر، والذي يتكثر دايما بالغاشي، ولاكن عن قريب بالتحقيق الباي يخرج من قسنطينة، على شان العسكر انتاع الفرنصيص، يقدم إليه، ويحاوزوا عن قلبها، ويبدا يسافر العسكر حتى يبرد شوية الحال، وحتى يلحق إلى عنابة الغاشي الذي اليوم في طلون يركب في البحر، ومزالوا بعض من الايام وما يبقاش للباي أحمد يشوف أبدا الصور انتاع قسنطينة، وكفاش هاذ الرجل يقول لكم على الجهاد، ثم يوسخ هاذ الكلام؛ اقتل هو جميع الكبار

انتاع قسنطينة والاعراش باش ياكل رزقهم، وحكم بالزور عند بنات مسلمات، فكهم من عند والديهم مسلمين، وأخذ النساء، بالزايد حين بالشرع ما يقدرش يزيد فوق اربعة، ويشد الترايك انتاع الهجالة، واليتيم ويحلف للمومنين ويخدع حلوفه، وكفاش تنجم تقولولي أنا عبد الله وسيدنا ومولانا محمد، ان هاذا احمد سارق وقاتل وخداع، وهو مومن حافي، الا هو خرج من الدين، والويل للذي يرضى يتبع سانجاقو، والنعلة انتاع رب خالق الدنيا، واعرف الذي في الصدور، وتكون عليهم وعلى اولادهم واولاد اولادهم، وما ينجمش يقول هاذ الكلام انتاع الجهاد يوسخ، واليوم انا الذي أخوكم في الدين، لابد تاخذوا رايي وتسمع كلامي، هنيو ارواحكم الله يحب العافية بين المومنين، والتجروا مع الفرنصيص في أسواقهم الأمان، والحق لم يسبوا في ديننا وردو نبي انا كبير في كبارهم، واصبروا في ما يأتي، وعن قريب يظهر كفاش قوا الهول انتاع الفرنصيص، وعن قريب نعرف ما يريد الله، ولم تجبدوا فوق رءوسكم، الضرورة التي مزالت اليوم بعيدة عنكم. والحاج عبد القادر هربان من الغرب وخاف يقعد، ثم على شان العرب الذين غدرهم وماتوا لهم اخوانهم، حبوا يقتلوه والا يعطوه في يد الفرانصيص. والحاج الصغير انخلع وما عرفش واش يعمل. والعساكر انتاع ناراهم حاطين على دايمن في شفة، وعن قريب يسكن على دايما في المدية وملیانة وشرشال، وثم يعزوا الدين والناس النسا ورزق الناس، ولاكن يعمل العافية بالسيف على جميع الناس، ويحكم في الذين يبقيوا الشر. وحاج أحمد باي يظهر له مزالت القدرة في يده، لاكن عن قريب هو يخلص أيضا، والى كنت نبغ كان هو يخلص، مادام جاوني المسلمين

وطلبوا مني صوني باش يقتلوه، لاكن ما زلت ما قبلتش، علاش أنا مومن خير منه.

واليوم انتوما اقراو وخمموا كلامي، صديق انتاع واحد منكم من اخوانكم. والسلام عليكم وعلى جميع المومنين الذين يكونوا واقفين.

وفقهم الله.

آمين آمين

آمين

كتب يوم الجمعة الثامن يوم من الجماد الأولى سنة ١٢٥٢.

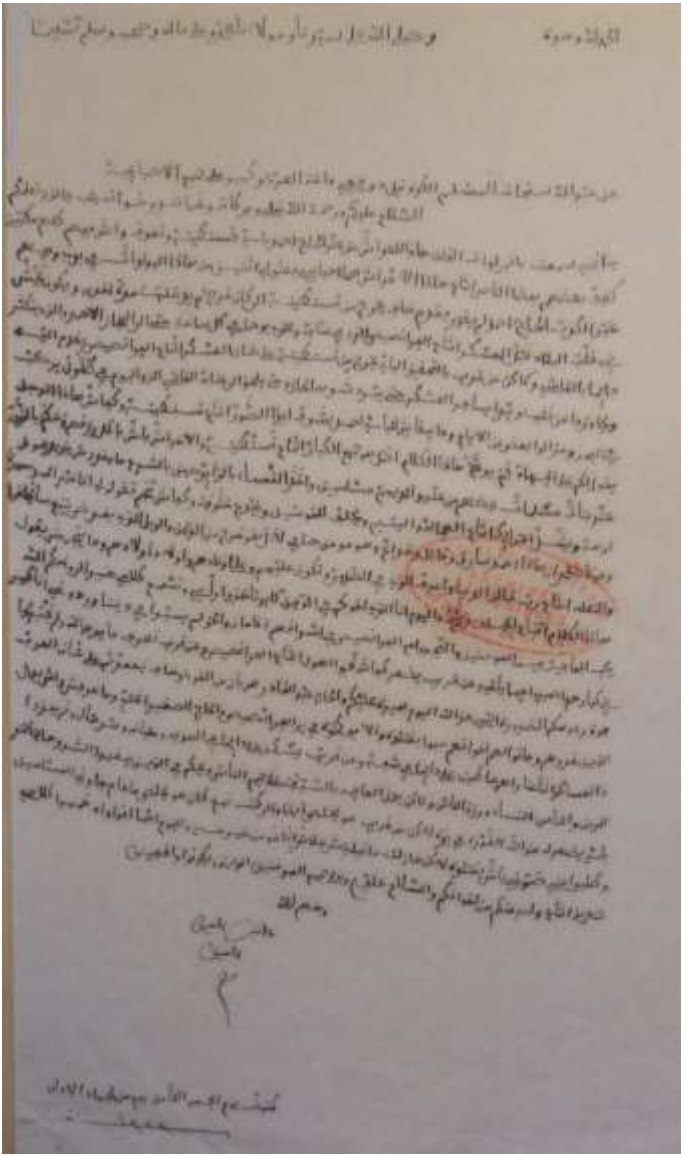

سجل عمليات الاعتداء على مدينة قسنطينة
يوم 13 أكتوبر "1837". [6]
يوميات عمليات "روبون دو فلور" (*Robant de Fleurs*)
Journée du 13 octobre Assaut «1837»
Journal des opérations de Robant de Fleurs

----------***----------

فتحت جميع بطاريات الحصار، عند فجر هذا اليوم، بشكل قوي جدا، وبدأ القصف في وقت واحد وبضربات سريعة من القذائف والكور، بهدف اختراق دفاعات المدينة وجوانبها، وسرعان ما أصبحت المدينة قطعا متناثرة، وفضاء بين سورها وساحة أسلحتها، والتي تجاهلت العقبات التي أعدها المحاصرون. وقد أعطيت إشارة أول هجوم للاختراق.

وسرعان ما عبرنا النهر الجليدي، تحت وطأة النيران الحارقة، والتي لم تتمكن من إصابة سوى رجلين لا غير. لقد كان على رأس القوة المهاجمة كل من العقيد "لامورسيير" (*Lamouricière*) [7]، وقائد كتيبة الهندسة "فيو" (*Vieux*)، اللذان تسلقا المنحدر بهدف اختراقه، وتمكنا من الوصول إلى قمته. لقد تم تدمير كل الدفاعات، وتم دفن قطع عديدة في (*k*)، [8] تحت أنقاض الأقبية، حيث أصبحت كأكياس الصوف المهزوزة. لقد كان سور المدينة عاليا 2-2، وعبارة عن كتلة لبناء قديم، بسماكة 3 أمتار، ولم يكن له أي دور في الاختراق، بل بالعكس كان يحمي جزءا فقط، من حرائق المنازل وخاصة الثكنة "e"، المسماة

بالانكشارية، وبالتالي فإن جسر الاختراق، وفر مكان تجمع محمي ومخبأ، وساحة لتسلح المهاجمين.

وعندما اخترقت المساحة بين 1 و3، أصبحت عبارة عن كتلة أنقاض متراكمة، وشكلت منحدرا مضادا باتجاه المدينة؛ حيث ووجه المهاجمون بنيران المنازل. ومع مواصلة الاندفاع إلى الأمام على خطى قادتهم، أصبحت الطريق ممهدة. وعلى اليمين من الممر 3-4، وعلى يسار الممر 3-6، ومن الجانبين، تلاحم جنود الهندسة، واتحدوا في إطلاق النار، وكثيرا ما تقاتلوا يدا بيد، وقاموا بتهديم العوائق، وتمهيد الطريق على حساب أكبر عدد منهم. وباتجاه النقطة 3، تهدم جزء من السور، وسقط على رؤوسنا، فتمكنا من إنقاذ من بقي يتنفس.

وبعد عشر دقائق من الهجوم الأول، غادر العقيد (*Combes*)[9] على رأس قطعة من الفرقة الثانية، بمعية 80 جندي هندسة، مع ضباطكم. ومع استمرار القتال، أرسلت مفارز جديدة أيضا بمعزل عن الآخرين ووفق الحاجة. وعن طريق نظام الهجوم، من خلال التعزيزات المتتالية للقوات الجديدة، وهذا لمنع أي اضطراب والحيلولة دونه، ومن المحتمل أن يتحول النجاح بين لحظة وأخرى لو حدث أي تردد، أو عن طريق الصدفة.

ومع ذلك، وخلال الهجوم يسارا، دخل جنود الهندسة بصعوبة كبيرة إلى أكثر من زقاق ودرب متعرج 8-9، 11.10، متجهين صوب نقطة نار قاتلة. وتجنبا لأي هجوم مضاد من المنزل الواقع في زاوية الشارع الرئيسي، وفي الزقاق 10-11، وحيث تم إعداد فتحات.

لقد كان الهجوم من جهة اليمين يسير ببطء، وقدمنا خسائر كبيرة في الأزقة 4.3 و5.4؛ حيث قتل العديد من الضباط، بما في ذلك خمسة من ضباط الهندسة، وعدد كبير من جنود الهندسة والمشاة، ومن جرح كانت إصابته خطيرة. وأخيراً تخلى العرب على المساحة قبالة البوابة رقم 5، وعلى الفور انفجر مسحوق البارود، كلغم [10] وابتلع أو أحرق بشكل رهيب، كتلة المهاجمين، الذين اندفعوا على خطى العدو المنسحب.

لقد وصلت تعزيزات جديدة، واستعيد النظام في لحظة من القلق ومن التأثير الرهيب للانفجار، وأصبح القتال أكثر شراسة، وبرز العقيد "كومب" (*Combes*) في البوابة رقم 5، في شارع السوق الرئيسي، فأزال حاجزًا تموضعه خلف الممر 10-11، وسرعان ما أصيب بعيار ناري قاتل. لقد تم طرد العرب من المحال التجارية، التي كانت مصطفة على جانبي الشارع، وحل محلهم الفرنسيون؛ فكانوا يقفزون في جميع الجهات، ويفقدون الكثير من الرجال، دون أن يتمكنوا من كسب الأرض.

وخلال كل هذه الجهود المضنية، قام جنود الهندسة بمساعدة المشاة على الدخول عنوة إلى أحد المنازل، الواقع تحت الباب، والممر الموجه برقم 5. وبعد معركة بالحراب، تم على الفور اختراق الفتحات المصطفة على الشارع الكبير، وضد ضربات المأذنة "م" (***m***)، وهذه الأخيرة تم ضربها في كلتا جانبيها، حيث تم التخلي عنها بسرعة، وواصلوا حركتهم يمينا، وتمكنوا من طرد العدو من الثكنة "و" (***e***)، ومن النوافذ

والفتحات التي كانت على المنزل "ن" (***n***)، وكل الذين قفزوا في شارع السوق، لقد أبطئوا الحريق، والذي سيتوقف بعد ذلك، بوقت قصير.

وفي نفس الوقت كانت تدور رحى عملية مماثلة يسارا، حيث تعززت بجنود الهندسة، وضباطهم الجدد، من أجل تعويض واستبدال من تم إبعاده معنا في المعركة، ودخل المشاة إلى الساحة رقم 15.

لقد تغطت الرحلة الممنهجة بأكبر قدر ممكن، بهدف تحويل شارع السوق الرئيسي باتجاه المنزل "ن" (***n***)، وفي نفس الوقت الاستيلاء على الباب الجديد من الساحة رقم (15). تم الاستحواذ على الشارع الطويل الممتد إلى دار الخليفة "ف" (***f***)، وتم إنشاء حاجز عند رقم "16"، من أجل تجنب طلقات هذا المنزل، والتواصل عبر الشارع الموجه من 16 إلى 18. لقد كانت جنبات جدران السوق، ممتلئة بالشظايا، وفي داخل المباني التي تصطف في الشارع حتى الوصول إلى الرقم (17)، بالقرب من ممر الباب الجديد.

ومع ذلك، فإن الهجوم من اليمين، باتجاه ثكنات الانكشارية "و" (***e***)، كان مستمرا بعد احتلال الثكنة، التي كانت تتبع الجدار المؤدي إلى باب الجابية، والذي قام جنود الهندسة بفتحه، وحينها دخلت كتيبتان من الفوج الحادي عشر والسابع عشر إلى المدينة، عن طريق الشارع الكبير الذي يخرج من البوابة: وعندها أُعلن عن الوقف الكامل لإطلاق النار، وهروب العرب في جميع الجهات، وأعلنّا عن انهزام المقاومة، والاستيلاء على المدينة.

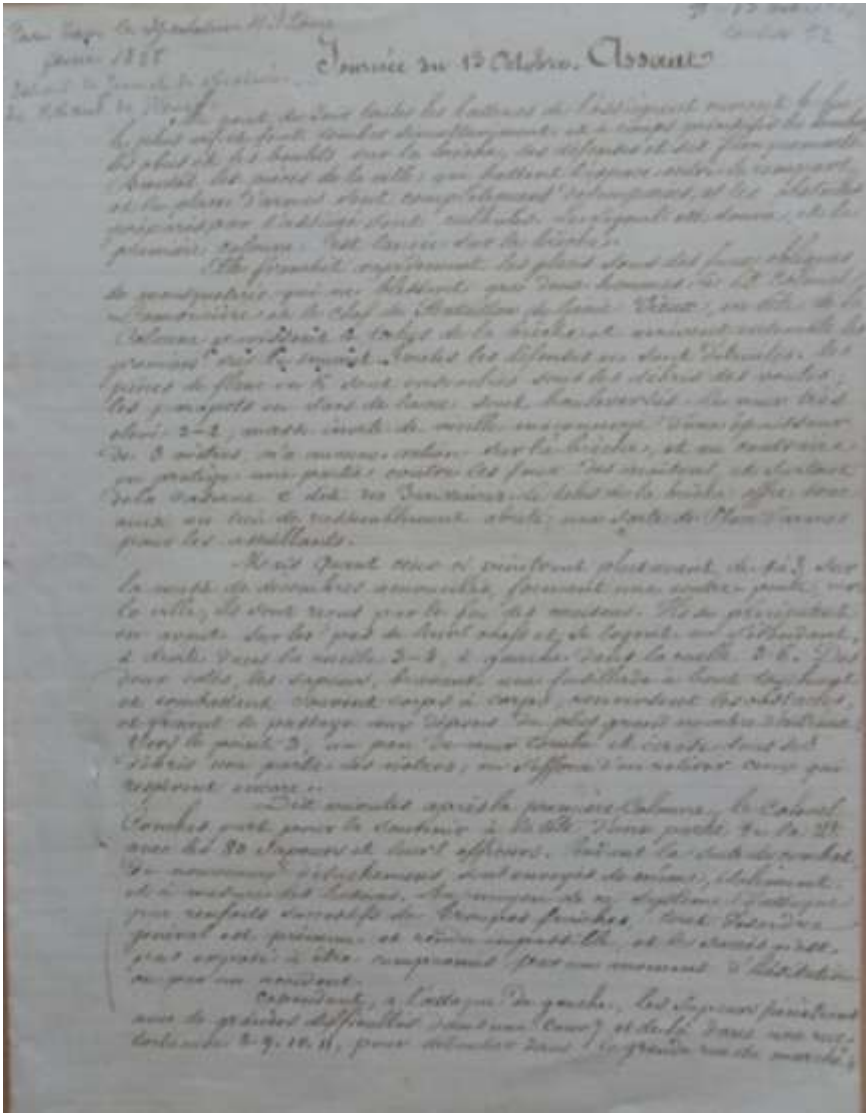

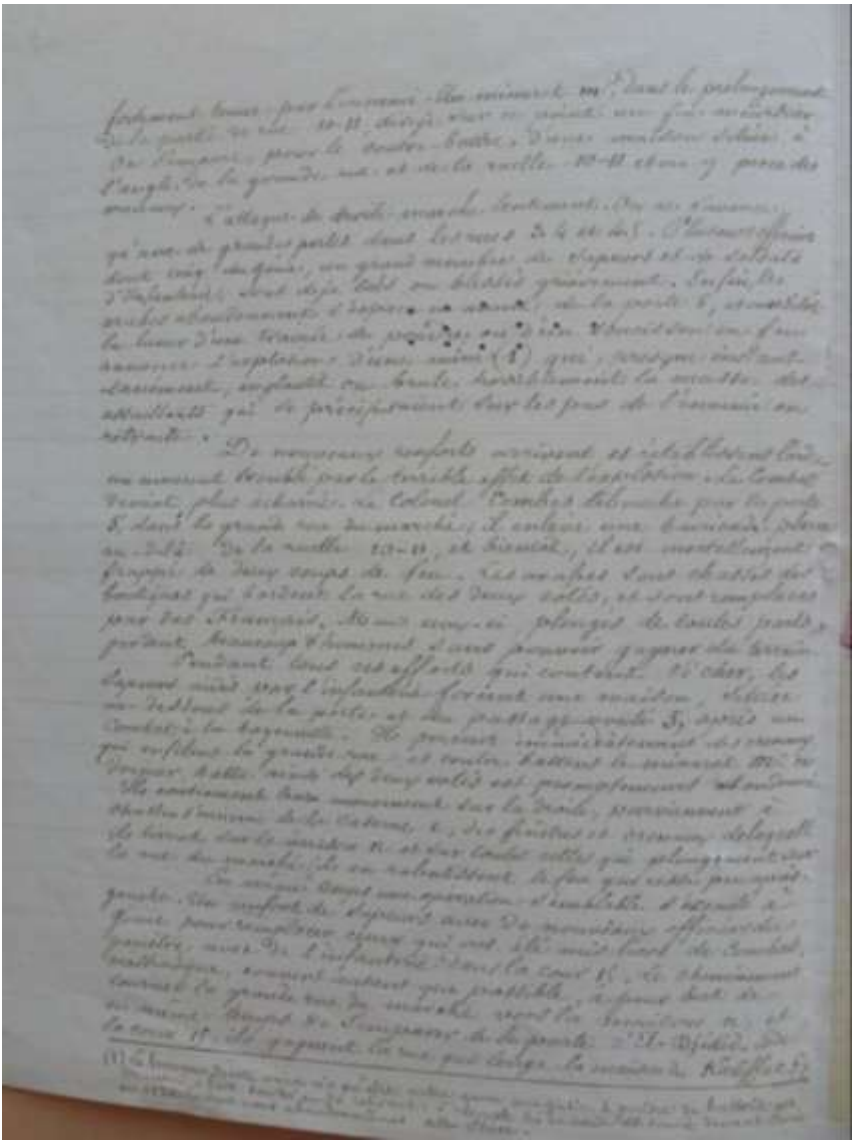

Palais du Dey
Nord
Maison de Kouba
Bab el Djedid
Caserne
Bab el Oued
Brèche
Bab el Djabia

اتفاقية بين أحمد باي قسنطينة والجنرال فاليه (*Valée*)، بتاريخ 24 أكتوبر 1837م. [11]

----------***----------

بين الجينيرال الكونت "پاله" (*Valée*) [12] آمر المحال الفرنساوية، الكائن الآن في بلد قسنطينة، والحاج أحمد باي قسنطينة.

صار الاتفاق بينهما على الشروط الآتية:

أولا:

أن الحاج أحمد باي يعترف مقرا على نفسه، أن فرانسه هي سلطانه.

ثانيا:

أن فرانسه تعطي إلى الحاج أحمد باي منصب الباشا.

ثالثا:

أحمد باشا يدفع لفرانسه، اللزمة السنوية التي قدرها عشرين ألف دورو في كل عام.

رابعا:

أحمد باشا يتصرف بالحكم في بعض وطن قسنطينة؛ تعريف أن من جهة قبله، بخط يسير من القل، يجوز على قالمة ومجاز عمار، لحد سكيكدة. وفرانسه تاخذ الأراضي سكيكدة والقل وجيجل وكولو وجميع المراسي، التي على البحر بوطن قسنطينة.

خامسا:

أحمد باشا يلتزم أن لا يعطي لأي جنس كان، على أي وجه كان، حتى خطه من بلاده حتى، ولا ياذن لأي جنس غريب كان، أن يقيح (كذا)، ولو برهة زمان في البلاد، التي تحت حكمه.

سادسا:

المتجر يكون مسرح بين الفرنسيس وأهل البلاد، ويتبعوا عادة البلاد بشأن دفع الكمرك وما أشبه. وأحمد باشا يلتزم بأن لا يدفع يبيع ولا يتجر إلا مع البلاد التي بيد الفرنسيس. والحماريين، الذين يأتون بالسلعة من كل جهة، لا بد أنهم عوض ما يمشيوا يبيعوا سلعهم في تونس من الآن وصاعد، لازم ايمشوا على عنابة، أو غيرها من البلدات التي بيد الفرنسيس، لأجل يبيعوا سلعهم هناك.

سابعا:

أن الحاج أحمد باشا يلتزم أن لا يشتري سلاح ولا بارود ولا غيره من آلات الحرب إلا من صنعة فرانسه.

ثامنا:

الفرنسيس والإفرنج المسرحين من فرانسه، فهم يقدروا يسافروا بكل حرية وأمان في وطن قسنطينة، ويقدروا يقطنوا ويقيموا أين ما شاؤوا بالوطن المذكور، وأملاكهم التي يملكونها بما لهم، يكونوا مصانين ومضمونين، ويكونوا بكل أمن وحرية، والباشا أحمد هو الضامن والكافل لهم أملاكهم، ويخسر لهم ما يفسد من العرب. وهكذا وعلى هذا النحو، أهل بلاده يقدروا ينالوا هذا الشيء ذاته في البلاد التي بيد الفرنسيس.

تاسعا:

إن الحكام الذين تولوا على يد الفرنسيس في قسنطينة بعد أخذها، وهكذا جميع الذين خدموا الفرنسيس، أو ظهروا أنهم أحبابهم ومعهم واليه، فهؤلاء لابد أن الحاج أحمد باشا يحرمهم ويكرمهم، ولا يضرهم بشيء، ويكونوا محرومين ومصانين هم وأموالهم وأرزاقهم وأولادهم وعيالهم وأملاكهم. وإذا مكثوا في بلاد أحمد باشا زيادة عن ما ذكر، لا يدفعوا الكمرك، إلا حسب ما يدفعوا غيرهم، بدون زيادة البتة، والباشا ضامن وكافل لهذه الناس، أن لا يكن عليهم حتى ضرب، وهكذا وعلى هذا النحو هربوا إلى الفرنسيس من أهل البلاد، فإذا ولو لتحت يد أحمد باشا، فلازم عليه يعاملهم نظير المذكورين أعلاه.

عاشرا:

إن عاملي الفالطة [13] والذنوب، سيردون من الفريقين لحكامهم وبلادهم.

حادي عشر:

فرانسه تقدر تجعل لها وكيلا عند أحمد باشا، على شان يعضد المتجر، ويكون الوسيط بين فرانسه وأحمد باشا ما يجلبه، وأحمد باشا يقدر يفعل كذلك في البلاد التي بيد الفرنسيس.

ثاني عشر:

هذه الشروط لا تتم ولا يعتمد عليها، إلا بعد قبولها وثبوتها من سعادة سلطان فرانسه، ولازم من إبقاء محله فرنسيه في بلد قسنطينة لحين وصول ثبوت هذه الشروط، وبعده هذه المحلة تسلم البلد التي لأحمد باشا، والباشا يلتزم أن يسهل ما يلزم لحمولة حوايج المحلة

ومأكلها ومرضايها. وهكذا يسهل عليهم كل ما يلزمهم مدة إقامتهم في البلد.

ثالث عشر:

فرانسه تسلم إلى أحمد باشا بلد قسنطينة في مدافعها ومهارس وبارود وكل ما يكن فيها من آلات الحرب والماكلة، على حسب ما يوجد في البلد بوقت تسليمها.

رابع عشر:

الحاج أحمد باشا يلتزم أن بوقت أن يسلموا له البلد، لابد أن يعطي لفرانسه مصروف الحرب، مبلغا قدره ماية وعشرين ألف دورو فرانسة.

كتب في الدرب بقسنطينة ليلة السبت ثامن وعشرين من شهر أوكطوبر [رجب] عام ١٢٥٣هـ، الذي هو بتاريخ النصارى ٢٤ شهر اوكطوبر وعام ١٨٣٧.

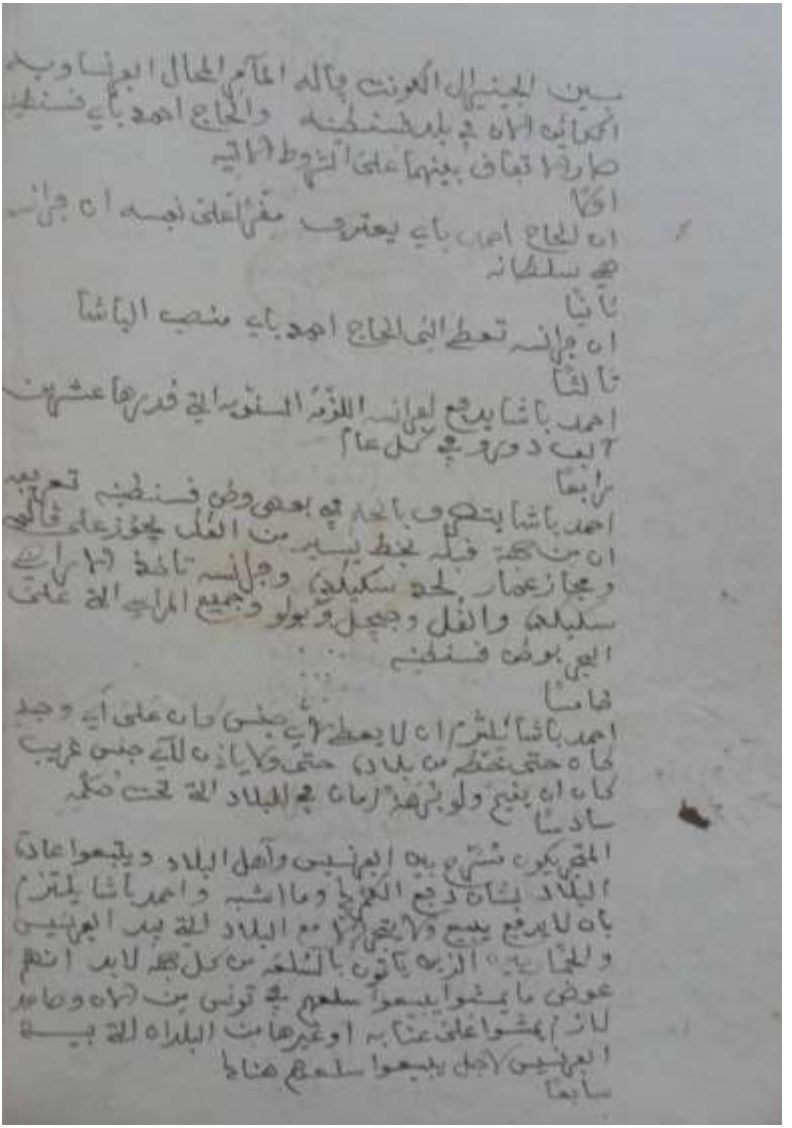

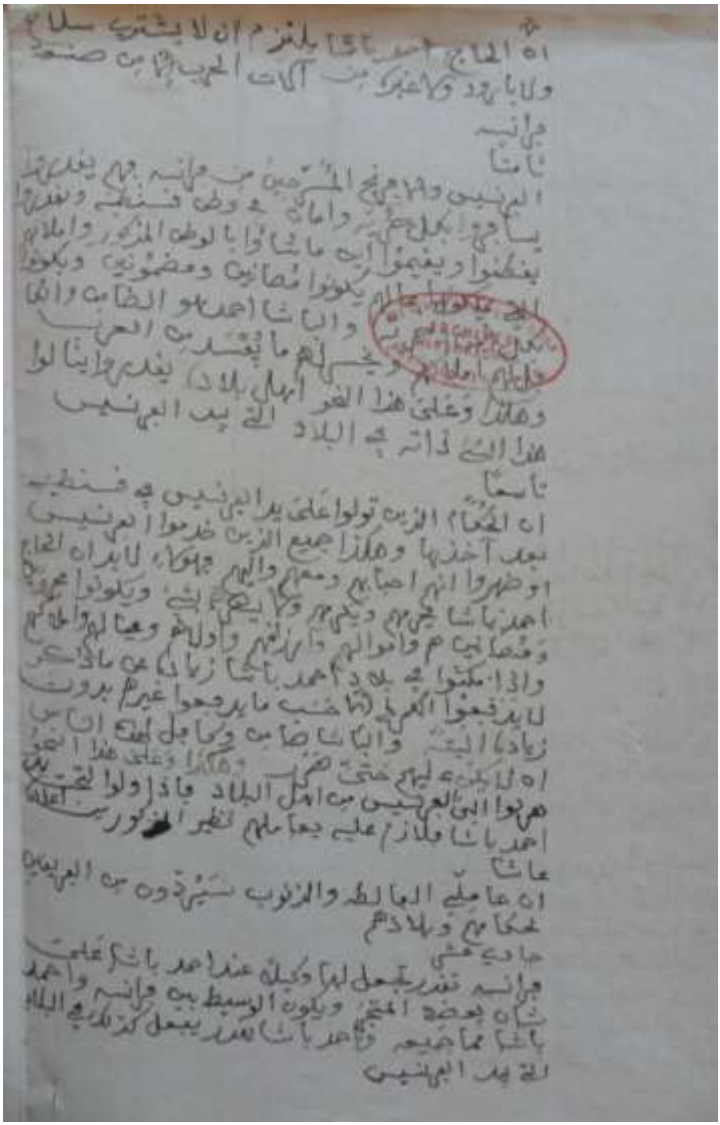

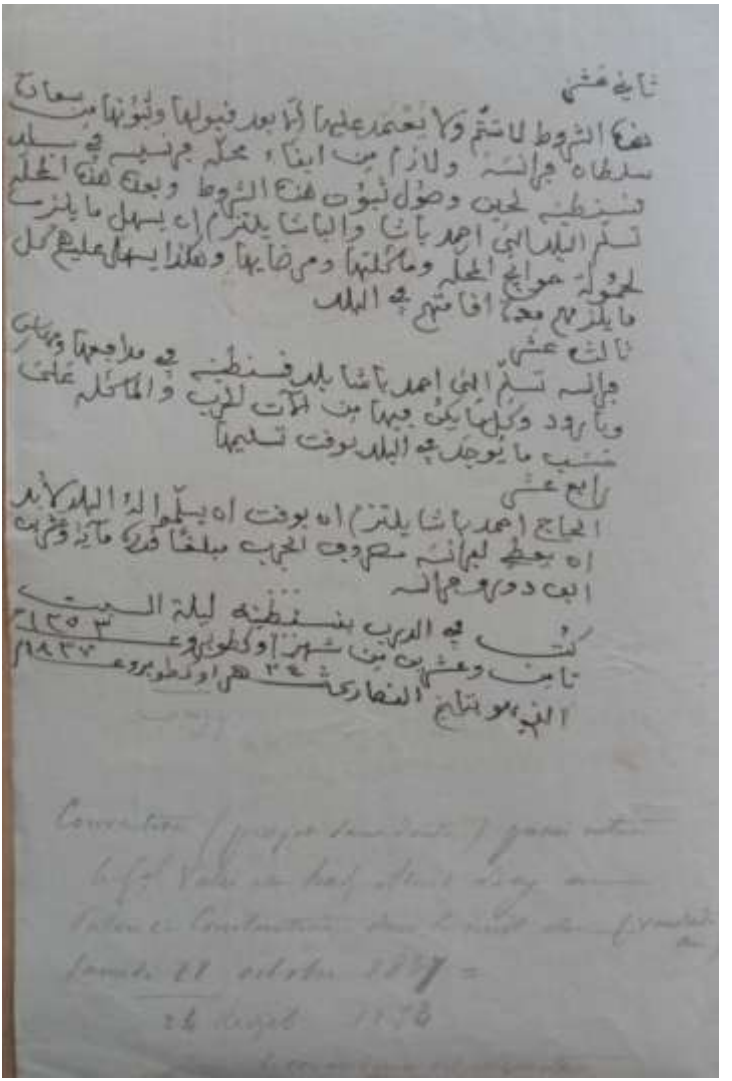

ثاني عشر
دفع الشروط لاتتم ولا يعتمد عليها الا بعد قبولها وثبوتها من سعادة سلطانه فرانسه ولازم من ابناء محله جهتي في سلد قسنطينه لحين وصول ثبوت هذه الشروط وبعد هذه المحله تسلم البلد الى احمد باشا والباشا يلتزم ان يسهل ما يلزم لحمولة هوانج المحله وماكلتها ومن ضايها وهكذا يسهل عليهم كل ما يلزم لهم حتى افاتهم في البلد

ثالث عشر
فرانسه تسلم الى احمد باشا بلد قسنطينه في مدافعها وسلاحها وبارود وكل ما يكن فيها من آلات الحرب والمحله على حسب ما يوجد في البلد يوقت تسليمها

رابع عشر
الحاج احمد باشا يلتزم اه يوقت اه يسلم الى البلد الاسد اه يحط لفرانسه مكروب الحرب مبلغا قدره مائة وثلاث الف دورو فرانسه

كتب في الدرب بقسنطينه ليلة السبت ١٢٥٣ه
ثامن وعشرين من شهر اوكطوبروع ١٨٣٧م
الفقير مولاي النطار عفى عنه ٢٤ اوكطوبروع ١٨٣٧م

الخاتمة:

وأخيرا يمكن القول إن احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837م، مثل نقطة تحول في تاريخ الجزائر، ذلك إن المدينة التي بقيت صامدة مدة سبع سنوات، تحت حكم أحمد باي في وجه الاحتلال الفرنسي، سقطت في قبضة الغزاة.

أن وثائق الفترة، تبين درجة الحرب النفسية، التي كانت مشتعلة بين أحمد باي والفرنسيين، بدليل أنه ما إن أرسل أحمد باي لقبائل سطورا والشرق الجزائري؛ معلنا الجهاد، وداعيا إلى رص الصفوف ضد المحتلين الغزاة. حتى تحسس الفرنسيون الخطر المحدق بهم، وتأثير ذلك عليهم؛ فأرسلوا رسالة إلى قبائل الشرق، عن طريق العقيد "دوفيفي"، بتاريخ 21 أوت 1836م، في مسعى لتثبيط عزائمهم للانضمام إلى الحاج أحمد باي. واستعمال أسلوب الترغيب والترهيب في آن واحد؛ من أن فرنسا تحاول تطبيق الشريعة والقانون عليهم، ومن أن فرنسا تمتلك من العتاد والعدة مالا قبل لجميع الجزائريين به، سواء أحمد باي شرقا، أو الأمير عبد القادر غربا.. وغيرها.

أثبت سجل ((عمليات الاعتداء على مدينة قسنطينة، المؤرخ يوم: 13 أكتوبر "1837"، يوميات عمليات "روبون دو فلور"))، أن سقوط مدينة قسنطينة، لم يكن استسلاما؛ وإنما تم بتضحيات جسام سواء من لدن الجيش النظامي أو من قبل السكان. وأن الفرنسيين لم يشنوا هجومهم، إلا بعد أن تمكنوا من تحضير كل عتادهم وعدتهم، وبعد أن جمعوا كل المعلومات عن المدينة واستحكاماتها.

إن الاتفاقية التي بين أيدينا، والتي تبين أنها تمت بين أحمد باي، والجنرال الفرنسي الكونت "فاليه"، بتاريخ 24 أكتوبر 1837، تسلط الضوء عن المناورات الفرنسية الهادفة لإخضاع أحمد باي، أو محاولة استمالته لجانبها (تعيينه باشا تابعا لها). كما وتبين سيطرت الفرنسيين على النشاطات الاقتصادية للشرق الجزائري، وغيرها من البنود المتعددة...

الهوامش:

[1] ورقة أخبار الجزاير، عدد 308، بتاريخ 09 أكتوبر 1837م.

- Moniteur Algérien, N° 308, 09 Octobre 1837.

إعلان الجهاد من قبل أحمد باي، موجه إلى قبائل سطورة، المنشور بورقة أخبار الجزائر، بتاريخ 09 أكتوبر 1837م، يبدو أنه سابق عن هذا التاريخ؛ يحتمل أنه تم في السنة السابقة 1836م.

[2] يوسف يدعى يوسف "فنتيني" (*Jouseph Ventini*)، ولد سنة 1809، وجلب كأسير من البحارة التونسيين، ثم أصبح مملوكا لباي تونس، وفي سنة 1830 سافر إلى الجزائر، حيث أصبح ترجمانا لجنرال الشرطة، ثم أصبح ضابطا لآغا العرب بين أوت 1830 وجانفي 1831، وترقي حتى أصبح قائدا لصبايحية بونة في 20 جوان 1835.. للمزيد: انظر/ - عبد الجليل التميمي: ثلاث رسائل من الحاج أحمد باي قسنطينة إلى الباب العالي..... ص 137.

- Abdeljelil Temimi; «**Trois lettres de Hadj Ahmed Bey de Constantine à la Sublime Porte** », in, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée; 1967 3, pp 133-152.

[3] خطاب محرر بلغة عامية، يحمل في طياته عبارات الاستعلاء، وهي عبارة عن رسالة ترغيب وترهيب من "الكونت دو دانرمون" إلى أحمد باي؛ حيث يعرض عليه الاستسلام، ومن ثم عقد اتفاق صلح، يعود بموجبه أحمد باي إلى منصبه.

- وثائق أرشيف الجيش البري بقصر فانسان، باريس.

[4] - وثائق الجيش البري، في المصلحة التاريخية للدفاع، بقصر فانسان، باريس، العلبة: (1 H 33).

[5] "فرانسياد فلوروس دوفيفي" (*Franciade Fleurus Duvivier*)، جنرال فرنسي، ولد في 7 جويلية 1794 في روان ، وتوفي في 8 جويلية 1848 بباريس . وفي عام 1830، رافق الحملة الفرنسية على الجزائر كقائد للهندسة، وعُين قائداً لإحدى كتيبتي الزواف، الناتجة عن اندماج 5000 متطوع باريسي، كان "دوفيفي" مسؤولاً عن انضباطهم. وفي عام 1831، غطى على انسحاب القوات الفرنسية في الحملة على المدية. كان مسؤولاً

عن العديد من الأوامر في الجزائر: قائد على بجاية في عام 1833، ثم مقدم في عام 1834، وقاد الإصبايحية في بونة؛ في سنتي 1833 و1836. كما تولى في الجزائر مهام آغا العرب. وفي نهاية عام 1836، شارك رفقة 400 جندي في الحملة على قسنطينة، التي هاجمت بوابة كدية عاتي؛ وفي العام التالي أرسل رفقة 400 عسكري إلى قالمة، ليؤسس مدينة، وسط السكان. عُيِّن عقيدًا، وحضر الاستيلاء على مدينة قسنطينة واحتلالها...

[6] - وثائق أرشيف الجيش البري بقصر فانسان، باريس.

[7] ولد "لويس جوشاو دي لاموريسيير" (*Louis Juchault de Lamoricière*)، في 5 فبراير 1806 بمدينة "نانت"، وتوفي في 11 سبتمبر 1865 في "بروزل" (سوم) *Prouzel* (*Somme*)). شارك في عام 1830 في الحملة على الجزائر، لا سيما في الهجوم على حصن الامبراطور في 4 جويلية، حيث تم الاستيلاء على المدينة في 5 جويلية. عين ضمن فيلق الزواف، الذي أنشأه القائد العام "كلوزيل" (*Clauzel*) في أكتوبر 1830، وتم ترقيته إلى رتبة نقيب في 1 نوفمبر. تعلم لاموريسيير اللهجة العربية.

وبعد رحيل القائد العام "سافاري" (*Savary*) في مارس 1833، قرر خلفه بالنيابة، الجنرال "أفيزار" (*Avizard*)، إنشاء "مكتب الشؤون العربية"، كجهاز استعلامات ومراقبة للسكان الجزائريين. وبفضل معرفته باللغة العربية، تم استدعاؤه لرئاسة هذا المكتب، والذي كان أحد أعضائه البارزين "إدموند بيليسيه دي رينود" (*Edmond Pellissier de Reynaud*).

واصل خدماته في كتيبة الزواف في سبتمبر 1833، في حملة بجاية بقيادة الجنرال "تريزيل" (*Trézel*). وبعد ذلك ألغي مكتب الشؤون العربية، من قبل الحاكم العام "درويت ديرلون" (*Drouet d'Erlon*) في نوفمبر 1834.

تحارب "لاموريسيير" في شهر أكتوبر 1835، مع قائد الأمير عبد القادر، الحاج الصغير؛ في مليانة. وفي عام 1837، شارك في حملة قسنطينة، تحت إمرة الحاكم العام "دريمونت" (*Damrémont*)؛ حيث رقي إلى رتبة عقيد في نفس العام...

[8] هذا الرمز وغيره فيما سيأتي، عبارة عن مخطط بأسماء الأماكن بمدينة قسنطينة، وفق المخطط المرفق.

[9] "ميشيل كومبس" (*Michel Combes*) جندي فرنسي ولد في فيور (لوار) (*Feurs Loire*))، في 19 أكتوبر 1787، وتوفي في قسنطينة في 13 أكتوبر 1837. وفي 1 مايو

1832، تم وضعه على رأس الفيلق الأجنبي. وبعد خلاف مع الجنرال دالتون (*Dalton*)، قائد فرقة الجزائر، تم نقله إلى مونبلييه، ثم أعيد إرساله في وقت لاحق إلى الجزائر، حيث قاد فوجا للمشاة. وشارك في جميع المعارك، حتى الاستيلاء على قسنطينة. أصبح قائد جوقة الشرف في 17 يناير 1836. وفي 13 أكتوبر 1837، عندما صدر الأمر بالاعتداء على قسنطينة، وبمجرد مرور الرتل الأول، بقيادة العقيد "دي لاموريسيير "، المكلف بالاختراق، دعمه العقيد "كومبس" برتل ثان، ووصلا إلى سور المدينة، في نفس اللحظة التي وقع فيها الانفجار، الذي دمّر صفوف المهاجمين؛ حيث تولى الأمر العقيد "دي لاموريسيير"، والذي أصيب بدوره، كما قتل "ميشيل كومبس" برصاصة قاتلة في صدره.

[10] لم يكن انفجار هذا اللغم، سوى مخزن لمسحوق البطارية، والذي فجره العدو عند انسحابه؛ ونعطي مثال عن بونة سنة 1830م، عندما غادرنا هذه الساحة. (ترجمة عن الأصل).

[11] - وثائق أرشيف الجيش البري بقصر فانسان، باريس.

[12] المارشال "شارل فاليه" (1773-1846). تولى في عام 1837، قيادة سلاح المدفعية لقوات "دامرمون" (*Damremont*) في الجزائر، التي هاجمت قسنطينة للمرة الثانية، ثم تولى القيادة بعد وفاة "دامرمون"، الذي قُتل بقذيفة مدفعية بتاريخ 12 أكتوبر. وبعدها شن هجوما أخيرًا بتاريخ الثالث عشر من نفس الشهر واستولى على المدينة. ليتم بعد ذلك تعيينه ماريشالا وحاكمًا للجزائر، إلى أن غادر الجزائر في شهر يناير 1841. توفي في عام 1846.

[13] الفلتة وفلتات؛ زلة وهفوة؛ وما يقع من غير إحكام، ودونما روية.